دور اللغة العربية في تجسيد هوية المجتمع العربي وتكريس مقومات الأمن الفكري

د.لحرش أسعد المحاسن

د.بن داود براهيم

مقدمة:

ما من شك في أن أي نظام حضاري يعتمد في أفوله أو بقائه على مدى اهتمامه بمقوماته الأساسية، والتي كانت سببا في بزوغه، هذه المقومات التي تعد أرضية صلبة لإقامة أي مشروع نهضوي، وما من شك في أن هذه المقومات تنبني أساسا على المُعتقد والتاريخ...؛ وأداة الإفصاح عن هذا النهوض هي اللغة التي ينبغي أن تكون وسيلة ومُبتغى في ذات الوقت، وغير بعيد عن ذلك نجد اللغة العربية لغة القرآن الكريم وسنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وهي لغة العلوم خلال حقب زمنية طويلة، لكن اليوم أضحى الهدف وشغلنا الشاغل كيفية الحفاظ على هذه اللغة التي هي لغة أهل الجنة، والتي بُجلت لتكون لغة للرسالة الخاتمة والخالدة، كل هذا التحول الذي جعل اللغة تبحث عمن يحميها بعدما كانت هي من يحمينا ويحمي سائر العلوم والمعارف ويحمي مقومات هذه الأمة وتاريخها وهويتها.

هذا ما يجعلنا أمام ضرورة ملحة لتحقيق الأمن الفكري الذي لا يمكن أن يتحقق بدون اللغة، هذه اللغة التي أهانها أهلوها فأُهينوا، ولا يمكن بذلك الحديث مطلقا في ذلك لا عن التراث ولا عن الهوية ولا عن المُعتقد ولا أي شيء من ذلك دون الأخذ باللغة العربية.

وإذا كان هذا الأمر مُلحا فيما مضى فهو أشد إلحاحا اليوم أمام الانفتاح على العالم الخارجي خاصة أمام التحديات التي تفرضها العولمة اليوم، أمام المد المعلوماتي الأجنبي، وأمام الأساليب التقنية المعاصرة للاتصال التي ينبغي القول إزائها أننا لسنا في مستوى مواجهتها ومجابهتها بسبب الوهن الذي أصابنا وبالتالي حتما سنكون في حكم المتأثر لا المؤثر.

وإذا ما اطلعنا اليوم على الإنتاج العلمي الحقيقي بأي لغة أجنبية أخرى نجد أنفسنا أمام واقع مخجل لما نُسهم فيه بلغتنا وأمام زهد مبالغ فيه لا كما ولا نوعا، فإذا كانت اللغة العربية لغة القرآن الكريم حيث أكرمها الحق تبارك وتعالى، نجدها أضحت بسببنا حبيسة الرفوف والأدراج حيت أهناها فأُهنا، لأننا لسنا في مستوىً للحفاظ على هويتنا ولا أمننا الفكري الضائع، حيت يجعلنا هذا أمام جزم بأن اللغة العربية لم تعاني من شيء كمعاناتها منا، نحن الذين ندعي أننا من النُخب العلمية.

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية الدارسة من خلال بيان:

- أهمية اللغة العربية في تحقيق المقومات الحضارية وفي إقامة أمن فكري، نتمكن من خلاله من الحفاظ على أصالتنا وعلى الموروث التاريخي لأمتنا.
- أهمية اللغة العربية ذاتها في إدارة العديد من الأزمات المعرفية وإشكالات الهوية، إذ باللغة العربية نتمكن من التعرف على تاريخنا، وعلى مقومات النهوض الحضاري لأمتنا.

الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الوقوف عند الأهمية التي حازتها اللغة العربية سالفا في الحضارة الإنسانية وفي نشر الوعي والفكر لدى الغرب وسائر الأمم.

كما تهدف الدراسة إلى بيان أهمية ما أسهم به العلماء والمفكرون العرب والمسلمون من خلال الأعمال العلمية والإبداعية باللغة العربية وبالترجمات من لغات أخرى إلى العربية ثم إلى لغات لاتينية.

ثم إن اللغة العربية في حد ذاتها ليست كباقي اللغات إذ هي أداة لإدارة ما نعاني منه من أزمات تتعلق بالهوية والانتماء، إذ أن المواطن العربي يعيش حالة من التيه، تجعله عاجزا حتى عن رسم الأهداف البسيطة في حياته.

منهج الدراسة:

تم الاعتماد على المنهج التحليلي الوصفي بتحليل أهمية اللغة في إدارة الأزمات المعرفية وتحقيق الأمن الفكري، ودورها في تكريس المعنى الحقيقي للهوية والانتماء، خاصة في ظل العديد من التطورات المعاصرة.

خطة الدراسة:

تم تناول المحاور الرئيسية التالية بغية التوصل إلى الأهداف المتوخاة من الدراسة.

المبحث الأول: في بيان معنى إدارة الأزمات

الفرع الأول: مفهوم الأزمة

الفرع الثاني:الأسس العلمية لإدارة ومجابهة الأزمات المعرفية

المبحث الثاني: اللغة العربية وإدارة الأزمة المعرفية

الفرع الأول: مفهوم الأمن الفكري

01/ اللغة أهم مقومات الهوية

02/ المصادر الحقيقية للأزمات المعرفية

الفرع الثاني: الثورة اللغوية

01/ انحطاط العرب وخيانة اللغة

02/ الاغتراب اللغوي، الانعتاق والاعتناق

03/ النهضة باللغة

4/ سؤال الهوية

المبحث الثالث: إدارة أزمات العقل العربي وأمنه الفكري

الفرع الأول: اللغة العربية بين التأثير والتأثر العولمي

الفرع الثاني: الأمن الفكري والحفاظ على اللغة العربية

المبحث الأول: في بيان معنى إدارة الأزمات

أضحت إدارة الأزمات أسلوبا فنيا وعلما مستقلا بذاته ويجد حضورا له في كل المجالات من الأزمات النفسية لدى الفرد إلى الأزمات الإستراتيجية والسياسية على الصعيد الدولي، وتهدف إدارة الأزمات وفنياتها إلى تخطي الأزمة، وليس هذا فحسب بل وتهدف أيضا إلى تحقيق المراجحة التي تقتضي التعامل مع الأزمات لتجاوزها بأقل التكاليف وبأحسن الأداءات وأقل الأوقات، بل والاستفادة من الأزمة في رصيد التجارب، خاصة وأن العصر الحالي ملئ بالأزمات والكوارث والتغيرات، وتعد إدارة الأزمات بالأساليب العلمية المدروسة حائلا دون الإدارة السيئة للأزمات التي قد تسوقنا إلى نتائج وخيمة غير متوقعة.[1]

ورغم تعدد وتباين أنواع الأزمات إلا أن إدارتها وأساليبها العلمية تبقى موحدة في المنهج العلمي المتبع لتجنب وقوعها أو للحد من نتائجها الأكثر ضررا.

وبذلك فإن البحوث العلمية أكدت أن إدارة الأزمات بفاعلية يستوجب عمليات علمية منهجية كالتخطيط والتنظيم والمراقبة والصرامة وتكوين إدارة وقيادة ناجعة ونظم اتصال حديثة[2]، ويكون في ذلك نمط إدارة الأزمات المعرفية أعقد وأصعب أنواع الإدارة الأزماتية وهذا لارتباطها بعالم الأفكار حيث تصل هذه الأفكار في بعض الأحيان إلى كونها يقينيات وثوابت عقدية لا تقبل التنازل.

الفرع الأول: مفهوم الأزمة

يقصد بالأزمة لغة معنى الضيق والانحسار، ولو كان الأمر يخص كيان الإنسان فنقول أزمة نفسية، أزمة قلبية، أزمة لغوية، ويقال أزِمت عليهم السنة أي ازداد قحطها وتأزم، وفي اللغة الصينية تستخدم عبارة WET-JI التي يعبر شطرها الأول على خطر حال والشطر الثاني على الفرصة التي يمكن اغتنامها للاستفادة من الخطر وإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه حتى يتم تجنب حصوله مرة أخرى.[3]

وقد عرف الكاتبFINK الأزمة بأنها نقطة تحول في الحياة المنظمة إلى صورة أسوء أو أفضل فهي وضع للاستقرار يحدث فيها تغير حاسم في صيرورة العمل؛ أما الأستاذ محمد رشاد الحملاوي فقد عرفها بأنها خلل يؤثرها تأثيرا ماديا على النظام كله ويهدد الافتراضات الرئيسية التي يقوم عليها النظام.[4]

ولكن التعريف الذي نراه ملائما هو أنها "الوضع المترتب عن التغير في سير الأشياء وفق طبيعتها المعتادة، مما يفرض صعوبة التعامل مع هذا الوضع"،كما أن مدلولات إدارة الأزمات قد تعددت بتعدد

[1] عبد القادر نادية، 2007 إدارة الأزمات وحل المشكلات، محاضرة بالدورة التدريبية للمعطيات المقامة من طرف وزارة التربية والتعليم بدولة الكويت، ص 01.

[2] هلال عبد الغني محمد، 1996، مهارات إدارة الأزمات بين الوقاية منها والسيطرة عليها، الطبعة الثانية، مركز تطوير الأداء والتنمية، القاهرة، ص09.

[3] نفس المرجع، ص 09.

[4] محمد رشاد الحملاوي، إدارة الأزمات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، الإمارات العربية المتحدة، 1997.

الدارسين والكتاب رغم توحد مسمياتها حيث عرفها البعض من الدارسين بأنها نظام يستخدم للتعامل مع الأزمات من أجل تجنب حصولها والتخطيط للحالات التي يصعب تجنبها بهدف التحكم في النتائج والحد من الآثار السلبية.

ويمكننا من هذا تعريف إدارة الأزمات "بأنها الأساليب المتميزة والهادفة إلى التحكم في الأزمة الحاصلة والسير بها إلى الأوضاع المفيدة بدل الضارة ".

وبشأن الأزمات المعرفية فلم تُعرف التعريف المتكامل المُبين لأبعادها الحقيقية، ورغم هذا فبالإمكان الاجتهاد ببيان كون الأزمة المعرفية هي التغير الحاد والخلل الحاصل على المستوى المعرفي الفكري للفرد مما يجعله يكيف ويحلل المشكلات والمسائل العالقة بصورة خاطئة، وبهذا تؤدي الأزمة المعرفية إلى أن تكون نظرة الفرد نظرة متطرفة متسمة إما بالإفراط أو التفريط، وهذا ما يتطلب حتما أسلوبا علميا في إدارة هذه الأزمات المعرفية وكل هذا لإذاعة الأفكار السليمة من جهة والاستغلال الأمثل لتقنيات الاتصال الحديثة وللمعلوماتية.

الفرع الثاني:الأسس العلمية لإدارة ومجابهة الأزمات المعرفية

وتتضح هذه الأسس بإتباع الأساليب والخطوات التالية:

01- التحري الأولي لبحث أبعاد الأزمة: وذلك بدراسة كل العوامل التي أدت لحصول الأزمة المعرفية والفتيل الذي أوقدها، وبيان كل المسائل والمؤشرات التي تزيد في هذه الأزمة أو التي تحد منها، خاصة الأسباب الخارجية التي كان للمعلوماتية الدور في حصولها وسبل إدارتها أيضا بالأسلوب المعلوماتي ذاته.

02- الدراسة التحليلية العلمية الواجب إتباعها: وهذا بإتباع أسلوب علمي موضوعي جدولي يحدد الفرق بين الشك واليقين مع البناء على أسوء الاحتمالات، والتيقن من العوامل الفاعلة في الأزمة المعرفية سواء البشرية أو الطبيعية أو غيرها والنسبة المئوية لكل واحدة ومدى استمرارها.

03- التصنيف العاجل للأساليب الأنجع لإدارة الأزمة المعرفية: برسم بيانات تحدد نسب نجاح كل أسلوب سيتم إتباعه ومدى التحكم من خلاله في الأزمة استعدادا للمواجهة.

04- التطبيق الميداني العاجل للحلول المقترحة علميا: بإعادة تسخير كل الطاقات المؤهلة البشرية والمادية وزيادة عوامل المثابرة والتشجيع ودرئ مظاهر الذعر والارتياب لحل المشكلة المعرفية لدى الطلاب وحتى الباحثين.

05- السير بالأزمة المعرفية في اتجاه يخالف المسار الأخطر: بنفس صورة تغير مسار السيل الجارف المنفلت عن سد مائي بتغييره إلى مناطق أخرى غير الاتجاه السائد للمناطق الآهلة مثلا، وتوزيع مسارات السير لاستفادة المناطق المزروعة مثلا، وهذا ما ينطبق على المستوى المعرفي الفكري.

06- تولية الإدارة لذوي الخبرة والمعرفة العلمية المتكاملة: ويكون هو الأوحد الذي يمكنه إعطاء تعليمة وتوجيهات حيث أن وحدة القيادة تجنبنا التنازع والاختلاف ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم: ""كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي يغربل فيه الناس غربلة وتبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم

وأماناتهم فاختلفوا – كانوا هكذا – وشبك صلى الله عليه وسلم بين أصابعه قالوا كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك قال تأخذون بما تعرفون وتدعون ما تنكرون، وتُقبلون على خاصتكم وتذرون أمر عوامكم "".[1]

خاصة إذا تعلق الأمر بأزمات معرفية حيث يكون لأهل المعرفة الفكرية دورهم الأول، في السير بالأزمة إلى مسار صحيح، ويتم التصدي للأفكار الضالة بكل الأساليب خاصة التقنية والمعلوماتية منها حيث يتم اختصار الوقت والتكلفة والجهد.

المبحث الثاني: اللغة العربية وإدارة الأزمة المعرفية

من البديهي أن تعترض أية دولة أو أي نظام أو مجتمع العديد من الأزمات الأمنية التي قد تهدد كيانه وقوامه، وتعد الأزمات المعرفية من أخطر هذه الأزمات لأن المعرفة عصب حياة الفرد والمجتمع، ولا يمكن إطلاقا لدولة ما أو مجتمع أن يقوم على سوقه إلا إذا تحقق له الأمن المعرفي، كما أن العبء يقع في مواجهة وإدارة الأزمات المعرفية على الجامعات ومؤسسات التعليم العالي، والأزمة المعرفية يكون أكثر خطورة منها ما تعلق بهوية الإنسان من عقيدة وتاريخ ومواطنة وغيرها من الأبعاد الحضارية الأخرى.

الفرع الأول: مفهوم الأمن الفكري

يعد الأمن الفكري من أكبر المدلولات أهمية وهو مرتبط بحياة الإنسان، ولم يكن هنالك شيء أهم من الأمن قال الحق تبارك وتعالى " فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف" قريش، الآية 05.

وتتجلى سمات البعد الفكري للأمن في اصطلاح الأمن الفكري المرتبط بالحفاظ على الهوية الوطنية من المعتقدات والقيم والموروث الفكري والثقافي ومجابهة كل ما يمس بتلك الهوية من تبني أفكار هدامة أو متطرفة يكون لها تأثيرها على مناحي الحياة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا.[2]

وأمام مظاهر الثورة المعلوماتية التي جعلت القيود والحواجز كلها تُفض مما قد يقوض البناء الثقافي والحضاري لأمتنا، صار الأمن الفكري ضرورة ملحة، ويكون في ذات الاتجاه لزاما التعامل بحنكة مع ظاهرة الغزو الفكري بما يحفظ للأمة هويتها ومقوماتها الحضارية خاصة وأن لدينا ترسانة ضخمة من البرامج والمؤسسات التعليمية، ومن المسلم به في ذلك أن حماية الأوطان ليست مرتبطة بالحيز الجغرافي الإقليمي، بل إن أهم من ذلك هو الارتباط بهذا الحيز المكاني والزماني وفق مقتضيات المواطنة الصالحة المرتبطة بالانتماء التاريخي للتراث الحضاري.

ثم إن متطلبات الأمن الفكري لا تعني الانغلاق دون الاستفادة من الآخر بل يجب أن نستفيد منها وفق عدة منطلقات كما استفاد الغرب من موروثنا التاريخي لقرون من الزمن فليس عيبا

---

[1] أبي عبد الله محمد يزيد، في سنن ابن ماجة، الطبعة الثالثة، مراجعة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض، 2000، حديث 3957 ص 2714.

[2] عبد الله إبراهيم الطريف، الأمن الفكري البعد الاستراتيجي للأمن الوطني، ندوة علمية بجامعة الأمير نايف للعلوم الأمنية،1408، ص 04.

الاستفادة من الثورة المعلوماتية، وكذا عدم الوقوف عند الحد الاستهلاكي لهذه التقانة والمعلوماتية فلابد من الخروج من مرحلة التلقي إلى مرحلة الإنتاج.

ويقوم الأمن على نظرية متكاملة وعلى بحوث مستمرة في المجالات المختلفة تحقيقا وتجسيدا لمقتضياته وبغية مجابهة الإجرام وأسبابه ودعائمه، حيث لا يمكن تصور مجرم بلا جريمة، ولا جريمة بدون مجرم فهما أمران متلازمان.[1]

وإذا كان دور جهاز الأمن ينحصر في السابق على تحقيق السكينة العامة والأمن العام والنظام العام، فإن الدور اليوم أضحى أكثر شمولا وعمقا فهو يشتمل على التفكير الدائم في إيجاد حلول لما يطرأ من مشاكل اجتماعية.

وفي عصر التكنولوجيا لم يعد جهاز الأمن لوحده مسئولا عن طرح سياسة ما وإتباعها، إنما ذلك عمل مشترك ومتكامل مع كل الأجهزة والهيئات الأخرى كلٌ في حدود ما هو مخوّل له، وفي كل الأوضاع نجد أن هنالك مبادئ وأسس يجب إتباعها وهي:

- مبدأ العلمية: بمعنى الاعتماد دائما على المسائل العلمية استنادا على الخبرات والقدرات التقنية والعلمية والتخطيط المسبق، وهذا ما يفرض استخدام التقنيات المستحدثة.
- مبدأ مركزية التخطيط ولا مركزية التنفيذ: حتى في استعمال تقنيات الاتصال يعتمد على وضع خلية مركزية للقيادة ووحدات فرعية للتنسيق والتنفيذ المباشر من الأعوان.
- مبدأ الإلزامية والمرونة: أي ضرورة التقّيد بالتعليمات على مستوى الوحدات اللامركزية ويتم الاستعداد لأي ظرف طارئ بمسايرته والمرونة معه بإيجاد البدائل.
- مبدأ الواقعية: مدى التوافق بين الأساليب والتقنيات المستجدة مع الواقع الذي سيكون محل تطبيق وإدارة، خاصة في خضم ما يسمى اليوم بالجريمة المنظمة التي تعتمد على تشكيل هرمي لمجرمين محترفين يعملون وفق أسس معلوماتية حديثة وكذا في خضم آفة الإرهاب الذي أصبح يستخدم العديد من الوسائل الفتاكة بالأفراد وبالمجتمعات.[2]

01/ اللغة أهم مقومات الهوية:[3]

إن الهوية ببساطة هي ماهيتك، فإذا سألت شخصا ما "من أنت" ستنتظر أن يقول لك من هو إلا إذا كان هذا الشخص يعاني من الأنومياAnomia - مرض يصيب الذاكرة ويؤدي لفقدان الشخص

[1] نيازي حتاتة، إسهام الجمهور في مكافحة الجريمة، مجلة الأمن العام المصرية، العدد 57، ص 161.

[2] إبراهيم عيد نايل، جرائم الإرهاب، السياسة الجنائية في مجابهة الإرهاب في القانونين المصري والفرنسي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995، ص 05.

[3] مراد كريم، المهنة المكتبية في ظل مجتمع المعلومات، مقال بمجلة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر دورة أكاديمية محكمة ربيع الثاني،1428، ماي 2007، العدد 23، ص 300.

لذاته- وحينما نزور بعض الدول نطالب مرارا بإعطاء الهوية –البطاقة التعريفية- [1]، ولكن إذا كان السؤال ممن يعرف المسؤول فإن التساؤل يفيد البحث عن شيء مكنون لا يتوقف عند حد الاسم والكنية، وبذلك فإن هنالك مظهران أساسيان للهوية، أولهما يتمثل في الاسم واللقب، وثانيهما يتعلق بأمر غير ملموس، ومركب من العديد من العناصر التاريخية والدينية والحضارية.

أما عن اللغة فهي ذات ارتباط وثيق بالهوية، وفي هذا نجد التمايز بين اللغة العربية وغيرها من اللغات، فإذا قلنا الاسبانية فهي تحيل إلى بلد معين، واللغة الإيطالية والفرنسية والانجليزية وغيرها، أما اللغة العربية فهي تتعدى حدود الدول وترجعنا إلى بعد إيديولوجي يوحي إلى العديد من الدلالات والمقومات الفكرية.

يقول سقراط في محاورة كراتيلوس لأفلاطون، إن غاية الكلمات تمييز الأشياء بعضها عن بعض، وتلقين بعضنا بعضا هذه الأشياء، فتمييز الأشياء يُقصد به التمثل، أما تلقين أحدنا الآخر هذه الأشياء فهو التواصل.[2]

وقد تم تعريف الهوية في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بأنها "عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره"[3]، ويذكر المفكر محمد عمارة في كتابه مخاطر العولمة على الهوية الثقافية" أن هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها طالما بقيت الذات على قيد الحياة ".[4]

وتبرز الهوية الثقافية كأداة للتمييز بين مدلول نحن ومدلول هم ومبنى ذلك التباين الثقافي رغم وجود مرونة في مدلول هذه الهوية بغض النظر على أن الهوية تشهد تنوعات وتداولات متكررة وبذلك نجد أن الهوية "الحصيلة المشتركة من العقيدة الدينية واللغة والتراكم المعرفي وانتاجات العلم والفنون والآداب والتراث والقيم والتقاليد والعادات والأخلاق والتاريخ والوجدان ومعايير العقل والسلوك وغيرها من المقومات التي تتمايز في ظلها الأمم والمجتمعات".[5]

ونجد أن العولمة هي اللاهوية تهدف إلى التغيير من الثوابت والمحتوى والإرث التاريخي والاستدراج إلى ثقافة غربية غريبة وبشعارات زائفة تحت غطاء العولمة، أي وكأن بهم يقولون لنكن عالما واحدا بثقافة واحدة وقوانين واحدة ولكن كل هذا لأجل الوقوع تحت الأسر وظهر ما كان مستترا فيصبح التغريب محلا عن العولمة.

---

[1] جون جوزيف، اللغة والهوية، سلسلة عالم المعرفة، أغسطس، الكويت، 2007، ص04.

[2] نفس المرجع، ص 22.

[3] أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، 1999، ص 206.

[4] محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، فبراير، ص 6.

[5] دوني كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص 87،99.

مما تم تأكيده في العديد من الدراسات والأبحاث فإن الثورة التقنية لها تأثير على الهوية الثقافية وتؤدي إلى حدوث تغيرات في بناء المجتمع ووظائفه وشرائحه المختلفة وبخاصة شريحة الشباب، هذا ما يؤدي إلى حصول تغيرات وأبعاد جديدة في الهويات الثقافية العربية.

مع ضرورة الاهتمام بالمراحل الإعدادية حيث أن العديد من الأزمات التي تظهر في فترات لاحقة وفي فترات التعليم العالي مبناها برامج وأفكار تعليمية خاطئة خلال المراحل الأولى، ومن ذلك كان لزاما إعداد برامج ومقررات تعزز الهوية الوطنية العربية والإسلامية لدى شبابنا.[1]

ومن أبرز أسباب حصول العديد من الأزمات المعرفية المهددة للأمن الفكري:

الفكر الوافد من خلال تقنيات الاتصال الحديثة[2]

ضعف الوازع الديني[3]

القصور الإعلامي أو الدور السلبي الذي يقوم به[4]

02/ المصادر الحقيقية للأزمات المعرفية

تجاوز صمويل هنتينغتون (أستاذ محاضر بجامعة هارفرد) فلسفة النهايات التي اكتملت عند فوكوياما المستشار الإستراتيجي والمخطط للسياسة الأمريكية الخارجية بحتمية الليبرالية كمصير للشعوب إلى حتمية صراع الحضارات التي هي آخر طور أو حلقة من حلقات سلسلة تطور الصراع[5]، ويرى في ذلك أن التصادم بين الحضارات سيتحقق لعدة أسباب أهمها الفروق الحضارية في إشارة إلى اللغة كأهم هذه الفروق.[6]

ونجد أنه كثيرا ما يعمد الليبيراليون للاختفاء وراء التكنولوجيا الحديثة لإخفاء المعضلات الاجتماعية أو الخيارات الحضارية محل الجدل والخلاف، وتعمد هذه التقنية إلى إغراق الناس في تساؤلات (كيف)، لكن تمنع خوضهم في تساؤلات لماذا؟

ويجد هنتنغتون أن ردود الفعل العالمي ضد الغرب تتخذ أشكالا ثلاثة:

1/ إتباع مسار العزلة وعدم المشاركة في المجتمع العالمي.

2/ محاولة الانضمام إلى الغرب وتقبل قيمه ومؤسساته.

3/ التحديث من دون التغريب أي محاولة التوازن انطلاقا من الشكل المحلي.[7]

---

[1] سعاد العقون، دور المدرسة في بناء الذات السياسية للتلميذ، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 2004، ص 28.

[2] عبد الرحمن بن علي الغامدي، قيم المواطنة لدى طلاب الثانوية وعلاقتها بالأمن الفكري، جامعة نايف للعلوم الامنية، ط01،الرياض 2010، ص 127.

[3] نفس المرجع، ص 128.

[4] نفس المرجع، ص 130.

[5] فرانسيس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتمة البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة، 1992ص 62.

[6] صموئيل هانتغتون، صدام الحضارات، ترجمة مركز الدراسات الإستراتجية، بيروت، 1995، ص 30.

[7] جودت سعيد، عبد الواحد علواني، الإسلام والغرب والديمقراطية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ص 33.

وكان هنتنغتون قد خَلُص إلى نتيجة مفادها أن الصدام يحدث على مستويين، الأول جزئي ويتمثل في نزاعات خطوط التماس- اللغة، التاريخ، الدين- والثاني كلي يتمثل في التنافس العسكري والاقتصادي ومدى السيطرة على المؤسسات الدولية إضافة إلى ترويج القيم السياسية والحضارية الخاصة.[1]

ويشير هنتنغتون إلى أن التخلي عن اللغة الأم لدى العديد من الدول هو مؤشر على الضعف الداخلي وأن سيطرة اللغة الانجليزية دليل على الاكتساح الغربي والأمريكي للعالم، بدواع كثيرة على رأسها دعاية أن اللغة الانجليزية هي لغة العلوم ولغة التكنولوجيا.

أما المقال الذي نشرته الإيكونوميست للكاتب بيدهام يمثل جانبا آخرا[2]، إذ يوضح أن الشيء يكتمل بنقيضه فلا وجود لإشكالية السيطرة أو التحكم، وقد أكد قدرة تحالف وتآلف الإسلام والغرب على حل العديد من الإشكالات للوصول إلى خيرٍ للإنسانية كلها مُفنِّدا آراء هنتنغتون، وقد اختزل بيدهام الحضارات المؤهلة إلى ثلاث، الغرب في مواجهة العالم الإسلامي، وعالم الكونفوشيوسية ثم يبين أسباب استبعاده للكونفوشيوسية، أيضا ليوضح أن الصراع القائم هو صراع بين الإسلام والغرب فقط وحمَّل في ذلك الغرب مسؤولية تحقيق حسن الجوار مع الإسلام[3].

وقد أكدت الإيكومينيست في تقديمها لمقال بيدهام إلى العديد من المسائل منها أن العداء الذي يحمله المسلمون للغرب ليس عداء عنصريا، وإنما هو خلاصة ورد فعل مشروع لموجة استعمارية استنزفت خيراته وثرواته الفكرية والمادية، وأن التكنولوجيات الحديثة للاتصال والمعلوماتية ستلعب في الأخير الدور الكبير في تفعيل السيطرة الغربية.[4]

وكما ورد في الإيكومينيست فإن هنتنغتون هو من هيأ الإطار الفكري الذي مهد للخوف من مواجهة بين الإسلام والغرب ومقاله المعنون بـ(صدام الحضارات)يهدف إلى توضيح حقيقة الصراع بين الوحدات الأكبر والأوسع لم يتلاش بعد وما يقصده من الوحدات هو الحضارات والثقافات العامة لأجل ذلك يسميه صراع العمالقة.[5]

وقد تعدى مفهوم العولمة من الجانب الاقتصادي والسياسي إلى الجانب التعليمي والثقافي والإعلامي أو ما يدعى بعالمية الأدب أو الثقافة الشاملة أو القرية الصغيرة أو المجتمع الكوني(الكوزموبوليتي) الذي يكمن وراء إنتشار الثقافات والتداخل الحضاري بين الشعوب[6]؛ وفي هذا الصدد أضحت المعلوماتية والإنترنيت والتكنولوجيات الحديثة أهم ما تقوم عليه العولمة الجامحة حيث ازدادت

---

[1] نفس المرجع، ص32.

[2] Brian Beedham.Islam and the West; the Economist August. 6th.1994.1994.p15.32.

[3] أو مايعبر عنها بيدهام بالحضارة الصفراء.

[4] نفس المرجع، ص 52.

[5] ولكن الملاحظ أن خوض بيدهام في العديد من المسائل الفقهية البحتة كالصدقة والزكاة والربا والتعدد أضعف مقالته إلى حد بعيد.

[6] ميشيل كلوغ، عولمة أمريكا، مجلة الثقافة العالمية، الكويت، نوفمبر، 2000.

السوق العالمية لتغذية المعلوماتية وبلغت قمة المعلوماتية نسبة جد عالية مما سهل عمليات التوغل الفكري الثقافي.

والملاحظ أن هنالك العديد من التطورات والمظاهر ضمن الساحة الدولية اليوم التي هي قائمة على مسارات ثلاث.

1/ المسار الأول: سيطرة النظام الرأسمالي كقوة جبارة وسيطرته على كل العالم خاصة بعد زوال الثنائية القطبية.

2/ المسار الثاني: الثورة المعلوماتية والتكنولوجية الواسعة والتي تقتلع المقومات الأساسية.

3/المسار الثالث: الهيمنة الأمريكية على كل الجوانب الحيوية الإقتصادية والسياسة والثقافية، ولقيت بذلك تكهنات فوكوياما فرانسيس حول نهاية التاريخ End of history إنتشارا حينما أدلى بها صائفة 1989 وتوالت الحلقات الأخرى لمسلسله نهاية الوطنية، نهاية الدولة، نهاية القومية، نهاية التاريخ (تاريخ كل أمة لتساوي اللاتاريخية الأمريكية مع اللاتاريخية التي سلبت العولمة منها تاريخها).[1]

ولهذا أدت العولمة إلى هدم الأساس الذي يقوض وجودها على عكس ما وصفت به من الغرب بأنها ستحقق انتصارات مفيدة للبشرية، هذا كله بمعزل عن التأثيرات الاجتماعية والثقافية حيث نلمس في عالمنا العربي والإسلامي انتشارا رهيبا للعديد من مقوضات القيم والسلوكات فظهور العديد من أنماط التعامل مع الأفراد والمأكولات والملابس بشكل يدعو للقلق، مما يجعل ضرورة الحرص على هذه المسائل أمر جوهريا وفي غاية الأهمية، وإن هذا ما هو إلا صورة من صور الاستعمار البشعة الذي تلعب في اللغة دورا كبيرا.

وفي نظر الدكتور حسن حنفي أن العولمة بذلك كلمة حق أريد بها باطل وما دعوات الديمقراطية الغربية وحقوق الأقليات وحقوق الإنسان وحرية المرأة إلا شعارات رنانة ما تُظهِره على عكس ما تُضمِره، ويقول محمد عابد الجابري في صدد التخوف من التاريخ الموجود لدى الحضارات الأخرى ما مفاده "إن الولايات المتحدة الأمريكية من أكثر البلدان التي تعيش هاجس الهوية، لقد زرت هذا البلد قبل سنتين في إطار ما سمي بـ"الحوار العربي الأمريكي "كنت واحدا من أعضاء وفد عربي يمثل الأقطار العربية، كانت لنا اتصالات ومحادثات واسعة وغنية بجهات مختلفة الجامعية وغير الجامعية من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي من سياتل شمالا إلى الحدود المكسيكية جنوبا وقد لاحظت في جميع هذه المناطق أن لفظ (تراث) يثير عندهم شجونا وأن كثيرا منهم إن لم يكونوا جميعا مسكونين بهاجس إبراز شيء اسمه التراث الأمريكي".[2]

[1] بركات محمد مراد، ظاهرة العولمة، رؤية نقدية، المرجع السابق، ص 22

[2] محمد عابد الجابري، العولمة وهاجس الهوية في الغرب، الإتحاد، بتاريخ 29 نوفمبر 1999.

ومن سبل المواجهة الخروج عن الثقافة الإستهلاكية Culture Consummer التي تجعل من الإنسان مستهلكا لا منتجا ينتظر ما يجود به الغرب من سلع جاهزة ومصنعة بل تجعله يتباهى بما لا ينتجه حيث أنه القادر على استهلاك ما لا يصنعه، وهذا ما يؤيد أن الثقافة الاستهلاكية وتعميمها تعد أحد أهم السبل للهيمنة على الشعوب ولتحقيق التدويل السلعي.

وفي مقابل ذلك نستذكر قول مالك بن نبي إزاء إشكالية القابلية للاستعمار Colonisabilite حيث أن الدور الذاتي هو الفيصل مهما كانت العوامل الخارجية، فالمواجهة تنطلق من عدم القابلية للعولمة بنفس صورة عدم القابلية للاستعمار، مما يعني أن العولمة أو التغريب والاستعمار تجد مكانها بيننا بدرجة الضعف الذي نحوزه في ذواتنا، والأمر ذاته ينطبق على اللغة إذ نستشعر بنوع من التميز إذا تكلمنا بلغة غيرنا[1].

ونحن ندرك بأن الإسلام بسموه وعلو شأنه تمكن من تأسيس قنوات للتفاعل الإيجابي وللتأثير في ذات الوقت بطريقٍ لا إكراه ولا غلو فيه، وفي ذلك يقول الأستاذ الباحث أحمد شهاب (إن جزءا مهما في التخلف الحضاري الذي أصاب المسلمين يرجع إلى انحراف التفكير لديهم، لقد أدى الابتعاد عن روح الدين وحقائقه الواضحة إلى خلق أجيال تؤمن بالإسلام المظهري بينما تعيش الارتباك والتردد في الداخل وهو ساهم في تأجيج حركة الصراع الداخلي في المجتمع الإسلامي كما بالغ في تصوير قوة الآخر الأمر الذي سهل عملية اختراق جسد الأمة).[2]

ولكن الواضح وما يمكن أن يخلص إليه كل مسلم أن يستشعر في ذاته روح المسؤولية وأن يعمل جاهدا على أن يؤدِّي ما هو مُناط به، حتى يعكس صورة الإنسان الراشد المسلم المتحضر في حركاته وسكناته، وأن يترك بعد رحيله ما يعكس الإيجابية الواجبة على كل إنسان مسلم متحضر وكما يقول الرافعي إذا لم تزد شيئا على الدنيا صِرت زائدا عليها، فمن لم يكن مفيدا في حياته كان بطن الأرض خير له من ظهرها.

الفرع الثاني: الثورة اللغوية

نجد أنفسنا اليوم في ثورة لغوية حيث تأثرت حياة الأفراد باتساع دائرة الاتصالات وما نحن إلا في بداية تحول في وظائف اللغة بالنسبة للإنسانية.

وقد تم في تطور تحكم الإنسان في اللغة وأدواتها بأربع مراحل هي نمو اللغة نفسها، وبدئ الكتابة، اختراع الطباعة، ثم بالوقت الحاضر تم توصيل الكلام والكتابة في التو واللحظة.

وقد تحولت المجتمعات التي لم يكن يقرأ ويكتب فيها إلا القليل إلى المجتمعات لا يعجز فيها عن ذلك إلا القليل والأمن في مجتمع كمجتمعنا هذا صائر بسرعة إلى أن يصبح شذوذاً اجتماعيا مثله مثل الرجل الذي لا يستطيع العمل أو القتال في المجتمعات البدائية، ويرى المختصون أن السلوك الصادر

[1] مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار لفكر المعاصر، بيروت، 1999، ص31.

[2] أحمد شهاب، نحو تناول علمي لمفهوم العولمة، مجلة الكلمة، العدد 25،1998، ص 67.

عن الأطفال المنحرفين والمعادي للمجتمع إنما هو تعبير عن التوتر العاطفي الناجم عن تأخرهم اللغوي في المدرسة.[1]

وإذا كان الناس يشتكون من فساد البيئة المهدد للكرة الأرضية فإن هؤلاء ذاتهم لهم آثار سلبية على اللغة التي هي أداة تواصلية حيث كان من الواجب عليه أن يتولى حمايتها وصونها لكنه أبى ذلك وأدخل عليها ما ليس منها وأزاح عنها حلتها التي كانت عليها.

واللغة العربية وهي لغة عالمية أسهمت في بناء الحضارة الإنسانية للعرب وللغرب على حد سواء، وبالتالي ألم يحن الوقت لنُعيد لهذه اللغة مجدها التليد وأن نرفع من قيمتها التي كانت، ويجب الرفع من مستوى الخطاب بعد وصف المدفعين عن القضية اللغوية بأنهم دعاة تخلف وانغلاق.

وبالنظر في أعمال السلف نجدهم قد سادوا الأمم بهذه اللغة،وما عجزوا عن تبليغ ومقصود ثم إن اللغة العربية أمست مسألة في غاية الأهمية خاصة بعدما طمست حقيقتها من طرف من جعلوها قاربا وسط أمواج عاتي وجعلوا لها ولهم أعداء بالمجان، مما جعل الإنسان العربي في أزمة من أشد الأزمات التي تتعلق بأقدس ما في الإنسان وهو الفكر[2].

ثم إن الحديث عن الأمن الفكري واللغة يجعلنا نتحدث عن الغزو الثقافي الوافد إلينا من الغرب وبلغة الغرب وبفكر العرب مما جعل هنالك هيمنة ثقافية فكرية ما جعل النخبة لا تفتي مجتمعاتها إلا بلغة الآخر – لغة أجنبية –ولا ضير في تعلم أو الاستفادة من الغرب أو لغاتهم " **ومن تعلم لغة قوم أمن شرهم**".

01/ انحطاط العرب وخيانة اللغة:

تخلفنا انطلق من الفترة التي خذلنا فيها لغتنا حيث لم نبقي منها سوى على رموز للتواصل الاجتماعي البيئي دون جعلها أداة للعلم والبحث مما أخذلنا وجعلنا نخون لغتنا خاصة إذا أدركنا بأن اللغة ليست أداة للاتصال بل هي أداة تواصل تنطوي على قدر كبير من القيم الاجتماعية والتصرفات والأقوال التي تعبر بها عن مشاعرنا[3]، مما جعلنا نعتمد على الحديث بلغات الغير لعله يحررنا من عقدة التخلف والخذلان.

02/ الاغتراب اللغوي، بين الانعتاق والاعتناق:

[1] – م.م لويس، ترجمة تمام حسان، اللغة في المجتمع،عالم الكتب، القاهرة، 2003 ص 15.

[2] – صالح بالعيد، الأمن اللغوي، دار هومة، الجزائر 2010، ص 10.

[3] – صالح بالعيد، المرجع السابق، ص 16

تشكل الهوية اللغوية في المراحل الأولى للطفل بتدخل دور الأسرة والعائلة والمجتمع، واللغة حبل يشد الأفراد فيما بينهم وثقافة كال أمة كامنة في لغتها وفي إبداعاتها ومعاجمها.[1]

ويكون للأسرة بدرجة أولى الدور الكبير في تحبيب اللغة العربية للطفل وإعطائها حقوقها وتفعيلها خاصة في زمن العولمة.

ولا يتحقق الأمن في ظل الاعتداء على اللسان الوطني فهو من الحقوق التي كفلها الشرع والقانون وأي تعدي على اللغة هو جناية على الإنسان، والأمن يحصل دوما بحفظ الحقوق ولا يمكن تحقق الأمن الفكري واللغوي دون حماية حقوق اللغة.[2]

ثم إن تحقق الأمن الفكري يتحقق بالانعتاق من الفكر الغربي الوافد والذي يعكس الأبعاد الحقيقية للعولمة، ثم بعد ذلك لا بد من اعتناقنا للمبادئ التي تخلينا عنها لغيرنا، فاستفادوا من حسناتنا، وأخذنا عنهم مساوئ الأمور كلها، لنصل في الأخير إلى الاقتناع بما نقوم به.

03/ النهضة باللغة:

شتان بين أمة يقيدها التكاسل والتماطل وتترقب الفرج من السماء وبين أمة تعمل وتجتهد وهذا ما حررها وأداها إلى تغيير أوضاعها، وهذا بعد التحرر الكامل من كل مظاهر الجمود، وفي هذا دوما نتساءل لماذا تخلفت البلاد العربية تحديدا والأمة المسلمة في عمومها بعدها كانت هي المعلم لأوروبا وآسيا برمتها.

ومن خلال كتاب (الأنية والأصالة) لمولود قاسم- مفكر جزائري- كان قد أشار إلى الحضارة واللغة طارحا إشكالية تتمحور حول" كيف تكون أبناء عصرنا مع البقاء على أديم مصرنا، دون أن تصبح نسخة غيرنا؟ حيث أشار إلى هاجس النهضة اللغوية من خلال التركيز على الهوية الوطنية/ الإسلامية والعربية دون إنكار علاقتنا مع الآخر، حيث أن الشخص الذي لا يملك الهوية شخص غير موجود، والهوية بذلك هي الذاتية وما يدخل في عناصر تكوينها الروحي والنفسي والاجتماعي، وتتمثل في الاختصاص بالعقيدة الإسلامية واللغة العربية والوعي بالمنهج، وتطوير آليات التربية والتعليم وحماية التراث توجيه الإعلام توجيها وطنيا بناءاً، وتدخل في باب الهوية الاجتماعية الممثلة في:

الشخصية الوطنية

المقومات الذاتية

الصمود في وجه الغزو

مواجهة الإكراهات المعاصرة[3].

---

[1]- نفس المرجع.

[2]- فواز محمد الراشد، مرئيات التخطيط اللغوي عرض ونقد، مجلة مجمع اللغة العربية، الأردن 1996، العدد 51، ص 125.

[3]- صالح بلعيد، المرجع السابق، ص 107.

وفي دلالة الأنية والمعصرة التي استعملها مولود قاسم كعنوان لكتابه نجد اصطلاح الآنية التي استخدمها ابن سينا ويقصد من ورائها الشخصية وهي تضم اللغة،الدين،الوطنية، واستعمالها أيضا يوهان غوتليب فيخته J.G.Fiche صاحب فلسفة الآنية أو الذاتية أو الانتماء الوطني.

وعن مدلول النهضة فهي من فعل " نهض" بمعنى قام بعد سقوط وضدها ليس الجلوس فيقال لمن سقط،انهض ولا يقال له ثم والتي تقال للجالس.

وبعد أن كانت اللغة العربية سبيلا لنهضة الغرب وقعنا نحن مرة أخرى، حيث ترجمت الأعمال العربية الضخمة والتي منها رسائل جابر بن حيان، كتاب الحساب والمقابلة للخوارزمي، كتاب الحاوي الصناعة الطلب للرازي، كامل الصناعة الطبية لعلي بن العباس، البصريات لابن الهيثم، كتاب الأدوية البسيطة لابن الوقد، التصريف للزهراوي، القانون لابن سينا، نزهة الميثاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي، المفردات لابن البيطار وغيرها[1].

والنهضة بذلك لا تعني الاندماج في حضارة الآخر، كما لا تعني العيش في التاريخانية فألمانيا ثم تدميرها (ماديا) عن آخرها لكنها عاودت النهوض أكثر مما سبق، وبالتالي لماذا تم تدمير كليا ألمانيا ونهضت ولم تستطع الأمة العربية بعد النهوض.

4/ سؤال الهوية: قد تتعدى الأسئلة عن العربي وتتعدى الأجوبة إزاء ذلك، ولكن في الأخير هو سؤال عن الهوية، والهوية وجود وماهية، وفي المجال البشري على الأقل الوجود سابق للماهية دوما، الشيء الذي يعني أن الماهية ليست معطى نهائيا بل هي شيء يتشكل، شيء بصير.

بخلاف ما إذا كان التساؤل من الأوروبي حيث لا تتحقق الهوية إذ يمكن القول من الفرنسي، من الانجليزي، من الألماني، لأن أوروبا لا تعدوا أن تكون حيزا جغرافيا، مع أن هنالك من يرد على هذا بالقول بأن أوروبا حضارة وتاريخ، ومشروع كيان موحد.

وهل نقول بالمقارن أن العرب، أيضا هم حضارة وتاريخ ومشروع كيان موحد رغم أنهم لم يخطو خطوات إزاء ذلك، وبالتالي فإن وجود العربي كهوية هوية ذلك أعوز وأفقر من وجود الأوروبي.[2]

ومن أوجه المفارقة بين مشروع الوحدة العربية ومشروع الحدة الأوربية أن الأولى تؤسسها هذه اللغة والثقافة، بينما تعتمد الثانية على المال والمصالح المشتركة أساسا.

وكلنا يدرك بأن الهوية الثقافية هي حجر الزاوية في تكوين الأمم لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل إذ لا يمكن تحقيق الوحدة الثقافية بمجرد صدور قرار سياسي بخلاف الوحدة الاقتصادية.

والوحدة الثقافية بذلك تحتاج للإرادة وتحتاج إلى فواعل أخرى ذاتية وموضوعية، وهذا ما قد يرجعنا إلى التاريخ السالف حيث أن الوحدة الأوربية قامت عقب التحرر من الإمبراطوريات وآخرها إمبراطورية نابليون وإمبراطورية النمسا.

---

[1]- رضوان جودت زيادة، النهضة المستحيلة، قراءة المستقبل بعيون الماضي، مجلة الاجتهاد، بيروت 2002، العدد 54، ص 322.

[2]- محمد عابد الجابري، مسألة الهوية، العروبة والإسلام ...والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1995، ص 5

أما في الأقطار العربية فقد ظهرت فكرة القومية كتعبير في الاستقلال عن الدول العثمانية التي وزعت أقطارها العربية بين انكلترا أو فرنسا، فتحولت وتحللت فكرة القومية إلى حركات وطنية تبحث فقط عن الاستقلال، وهذا استقلالها وجدت المسارات مرسومة من الدول الأوربية الاستعمارية التي زادت قوتها وحدة تسلطها، وحتما لم يكن الاستعمار هو وحده العائق أمام تحقيق الوحدة العربية.[1]

وسؤال الهوية المطروح أيضا هو أن البعض يعتبر نفسه عربيا بالإسلام، وهذا ما يصح لسكان شمال أفريقيا التي لا ينفك في إدراكها تلازم الإسلام والعروبة، أما من لم يكونوا مسلمين فهم يعتبرون أنفسهم عربا لغة وثقافة وتاريخا وأصلا، وهنالك فئة تتقزز من أن توصف بالعروبة.

المبحث الثالث: إدارة أزمات العقل العربي وأمنه الفكري

ما من شك في أن اللغة العربية كانت نبراسا يُضيء أصقاع العالم من خلال كتابات الكثير من العرب والمسلمين، وفي تلك الأثناء كان وصف العربي عنوانا للاجتهاد والعمل والحضارة، وكانت اللغة العربية أجمل حلة يمكن أن يتحلى بها الإنسان فتم الاعتناء باللغة العربية كهدف وأداة للوصول إلى المدارك وشتى العلوم والمعارف الأخرى.

فكان للغة العربية ارتباط وثيق بالعقل العربي حيث استخدمت في الرياضيات والفلك والطب والجغرافيا وشتى العلوم الأخرى. حتى أرجع مفكروا أوروبا وساستها سر النهوض إلى اللغة في حد ذاتها هذه اللغة التي تحوي الفكر، المعتقد، والتاريخ...

ولكن مافتئ لهذا أن يتم حيث تم استهجان اللغة العربية وإقصاؤها لذاتها وإبعادها كأداة للبحث العلمي المتميز، مما جعل الآخر يرى بأن هذه اللغة لا تستوعب المعارف المستحدثة وأنها انعكاس للعقل العربي الذي يتسم بالتحجر والتطرف.

و نجد بذلك الارتباط الوثيق بين العقل العربي وبين اللغة المستخدمة حيث تجد العامة أن من يتحدث لغة أخرى يتسم بنوع من التطور والنهوض ولو كان إنسانا بدائيا وأن من ينطق بالعربية لا يرقى أن يصل إلى درجة هي الأدنى عند الأول.

مما جعلنا نقر بالتلازم بين اللغة العربية والتخلف حتى عند مثقفينا الذين يتقنوا ترديد اصطلاحات أجنبية إما جهلا وإما تفاخرا أو لكونهم أضحوا أسرى الاستقدام التكنولوجي الغربي.

ومن الواضح أن التفكير البشري مرتبط في أجزاء كثيرة منه باللغة فتكلمك العربية يوحى بالانتماء وبالهوية، بخلاف تعمد استخدام غيرها فهو يوحي في العديد من الأحيان إلى الهروب من واقع ما.

وحتما نجد العقل العربي في كل هذا يعاني العديد من الأزمات أزمة اللغة، أزمة الهوية والانتماء، أزمة الأهداف،كل هذا يوحي بوجود أزمة أمن فكري.

[1]- محمد عابد الجابري، المرجع السابق، ص 13

فمن أزمة اللغة التي أسهم فيها العقل العربي وكذا العقل الأوروبي المستعمر نجد إسهاما كبيرا منا نحن في تعلمها وتعليمها على الأقل كموروث حضاري مرتبط بديننا وبالقران الكريم الذي كان بلسان عربي وللعرب على وجود الخصوص، ومن خلال استخداماتها فالنخب في شتى المجال خاصة المجالات العلمية من طب ورياضيات وجغرافيا وغيرها نجد المتخصصين يبتعدون عن المصطلح العربي الأكثر انقرائية والأدق في مدلوله بالنسبة للعقل العربي والأكثر حضورا لديه، ويعمدوا لاستخدام اصطلاحات يصعب استيعاب مدلولاتها إن لم نقل حتى نطقها.

وهذا كله ليس رفضا للآخر وإنما من منطلق أن الأصالة تفرض، ذلك فالقرآن الكريم جاء باللغة العربية فلا يمكن التعبد به مترجما ولا يمكن الوقوف عند معانيه إلا من منظور كونه منزلا بالعربية، خاصة وأن العربية كانت مَعلما يهتدى به لذاتها أو عن طريق الترجمات التي قام به العرب والمسلمون وما استفادت به أوروبا جراء ذلك، وأزمة الهوية من منظور العقل العربي هي أزمة وجود حيث أنه تم تغييب التاريخ العربي خاصة بعد مجيء الإسلام، وإسهامات علمائنا في النهضة الأوروبية، هذا من جهة ومن جهة ثانية من حيث الهدف المرسوم في خارطة كل عقل عربي الذي أضحى متسما بالاستهلاك بكل أنواعه حتى الفكري منه دون أي بادرة بالإنتاج.

وحتما نجد أن إدارة هذه الأزمات لأجل الوصول إلى فكر آمن ينبغي أن تنطلق من اللغة العربية لأن اللغة العربية بالنسبة إلينا ليست ذاتها اللغة بالنسبة للآخر.

لأن اللغة العربية لدينا تاريخ وحضارة وعمل للتوحد بينما اللغة عند الآخر هي دليل للاختلاف والتعدد وهي مجرد أداة تنفصم فيها الروابط بين الهوية والوجودية.

ثم أن دور الأسرة والمدرسة والمسجد سيكون ضروريا لأجل إعادة ولو القليل من مجدنا الضائع على الأقل على مستوى اللغة لأجل استذكار الانتماء إلى حاضرة واحدة وإلى تاريخ واحد.

وبالتالي إذا رجعنا إلى لغتنا وتولينا تعميمها في:

- شتى المعارف
- شتى الأطوار
- شتى الأزمنة

سنضمن لأنفسنا جانبا هاما من الهوية التي تكون اللغة أهم الفواعل في تحديدها.

الفرع الأول: اللغة العربية بين التأثير والتأثر العولمي

بعدما أن كانت العربية لغة للعلوم وللأبحاث والاختراعات وسبيلا للنهضة الأوروبية أضحت متأثرة بالعديد من الدواخل التي تؤثر فيها كأداة وتؤثر فيها كأداة، كما تؤثر في العقل العربي ذاته.

ففي كتاب زيغريد هونكا " شمس العرب تسطع على الغرب" أوضحت الكاتبة أن أولى مظاهر الانتعاش الأوروبي كان بفضل اللغة العربية التي كانت لفترات طويلة من الزمن أداة للعلم وللاختراع والبحث، ولكن الذي نراه اليوم إفراغنا نحن العرب من محتوانا إذ أضحينا نعزف وربما نخجل من الاستعمال السليم للغة العربية، على الأقل لأجل استقامة ألسنتنا حيث نجد استخداما أقرب للرموز

منه للغة فالجملة الواحدة تضم كلمة عربية وأخرى أجنبية وأخرى خليط بين الاثنين وأخرى دارجة لا أصل لها...مما يعكس هروبا من الانتماء.

بالإضافة إلى التأثير التكنولوجي على اللغة العربية وهذا بوجود تدفق معلوماتي ومعرفي لا يجعلنا نفهم أشياء إلا بلغة مخترعيها أو مكتشفيها إذ نجد كلمات ومفردات لا نفهمها إذا نطقناها بالعربية ونفهمها إذا أوردناها باللغة الأجنبية ليس لأننا لم نكن سببا في اختراعها واكتشافها فحسب، بل لأننا نشعر بالتميز والتمايز فيما بيننا إذا نطقنا بكلمات لا يفهمها بعضنا، خاصة إذا أدركنا ما للوافد العولمي من تأثير على اللغة العربية. إن الحديث عن إدارة أزمات الهوية وتحقيق الأمن الفكري العربي حتما يرجعنا إلى أداة التفكير في حد ذاته، حيث أن العقل العربي يعاني من مشكلة عويصة جدا وهي التيه بين العديد من الأسئلة الشائكة.

هل الانتماء هو للعروبة أم الانتماء للإسلام ؟

هل أن اللغة العربية هي محدد تفكير العقل العربي أم أنها مجرد أداة للتواصل ؟

هل التواصل باللغة العربية هو مجرد تواصل داخلي فقط ولما لا يكون سبيلا للتواصل مع الآخر كإثبات على الأقل لوجود الأنا؟

هل التخلف الذي تعاني منه الأمة العربية هو بسبب التفكير العربي الذي مرده لغتنا العربية أم أن هنالك أسباب أخرى؟

هذه الأسئلة وغيرها جعلت من الإنسان العربي يتراوح بين أمرين أولهما ضرورة الإقرار بالانتماء إلى أصل ومصدر وثانيهما ضرورة الشعور بالتفوق – وهو أمر فطري- .

وضمن هذين المصدرين يحصل الخلل إذ أن التفوق الذي يتمناه كل فرد في المجتمع لا يتحقق بالتمني بل بالجهد والتميز والإتقان، وهذا ما صرنا نفتقده جراء موروث استعماري أو جراء إرادة سياسية داخلية أو خارجية وجراء شعور بأن التخلف هو مرتبط بالنوع الإنساني العربي وهذا هو الأخطر.

وإذا ما رجعنا إلى إدارة أزمات الهوية لا يمكن فك ألغازها إلا بالرجوع إلى اللغة العربية ليس نحوا وصرفا فقط بل أداة معرفية فلسفية وعملية أصلية أو ترجمية لأن استخدام العربية في المعارف خاصة الإنسانية والتقنية منها يجعلنا نعتز ليس بلغة وإنما بموروث حضاري كانت اللغة أداة له والأداة دوما تحتاج إلى الحماية والصون.

ثم إن اختيار الحق تبارك وتعالى للعرب لان تكون الرسالة الخاتمة من بينهم ولأن يكون الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم منهم، ولأن تكون العربية لغة لكتابه الكريم المعجز المنزل المنزه عن الخطأ المتعبد بتلاوته الذي لا تنقضي عجائبه.

وكان هذا الاختيار لحِكم جليلة تجعلنا نعتز بعروبتنا وبعربيتنا هوية ولغة وحضارة، ولا ينبغي الوقوف عند هذا الحد بل ينبغي المضي قدما في إعمال اللغة إعمالا متكاملا مع ما يُلائم تطلعات العصر

وتغيراته العلمية والتكنولوجية في مجال المعلوماتية، الطب الفيزياء، الكيمياء، وغيرها من أطياف المعرفة خاصة ما ارتبط منها بمتطلبات التحول التقني الحاصل.

لفرع الثاني: الأمن الفكري والحفاظ على اللغة العربية

إذا ما تم الحفاظ على اللغة العربية من لدن كل عربي مسلم فحتما سيتحقق لديه معنى الانتماء إلى البعد الحضاري الذي يجعله يمتاز عن الآخر الذي لا تاريخ له فأمريكا مثلا تاريخها أقصى ما يصل إليه هو إعلان فرجينيا لسنة 1776 كوثيقة تؤسس لإعلان أمريكا كدولة مستقلة.

وأوروبا تاريخها ملطخ بالمآسي فترات من الظلامية الدامسة، فترات من الانتعاش بفضل إسهامات العرب والمسلمين، ثم فترات للتوسع الاستعماري باحتقار واستعباد الشعوب الأخرى مع أنه لا وجود للمدلول الأوروبي أي مؤشر للتوحد لا من حيث اللغة ولا التاريخ ولا الدين، وإنما معيار التوحد كان مجموعة مصالح اقتصادية ومالية ورغم هذا تمن التوصل إلى أبعاد للتفاعل والتكامل.

وهذا ما يجعل المدرك لعروبته يتمسك بموروثه الحضاري الذي يعد جزء لا يتجزأ من شخصيته وأنيته مما يجعل من فكره فكرا مؤمنا سليما يميز بين النافع والضار مما يفد من الآخر، خاصة في ظل المد العولمي الذي يحمل معه السيئ، والأسوأ وشيئا مما يعلق بذلك من بعض المحاسن وبالتالي سيأخذ ذلك الحسن – وإن كان قليلا- كما أخذ منا الغرب –الكثير – ولفترات طويلة من الزمن ويدع الضار وما لا يتوافق مع فطرتنا ومقوماتنا الحضارية.

وبهذا فإن مقتضيات الأمن الفكري تجعل من الضروري وجود فكر أولا، ثم لا بد من أن يكون هذا الفكر متأصلا، وصولا إلى الفكر الآمن الذي لن تحقق إلا بوجود العقل العربي السليم الذي يميز فيما يتلقى أو فيما يُلقن في أطوار نشأته الأولى – من الأسرة والمدرسة- بين الفكر السليم والفكر السقيم، وهو من يتولى ذلك.

لأن هنالك إشكالية هامة جدا تتمثل فيمن يتولى ضمن كيان الدولة أو المجتمع مهمة تحقيق الأمن الفكري؟ قد تكون الإجابة الأسرة والمدرسة والمسجد وغيرها، هذه الهيئات أو ربما مؤسسات الدولة الرسمية، ولكن ألا يعد ذلك مصادرة للحريات وفيما يود الإنسان بعقله أن يعتنقه أولا؟ وبالتالي فإن الأمن الفكري لا يكون متوقفا على غربلة الوافد إلينا فقط بل التحقق بمعطى آخر وهو تكوين عقل عربي هو من يتولى التمييز بذاته، هذا ما يحقق معاني المراجحة المبنية على تحقيق الهدف –وهو الأمن الفكري – بأحسن أداء وبأقل تكلفة وفي أقل وقت.

وبهذا نجد الدور الذي تؤديه اللغة العربية في صناعة العقل العربي وفي إيجاد الوصلة بين الإنسان العربي ومقوماته وموروثه الحضاري.

الخاتمة:

مما سبق نجد بأن هنالك ارتباطا وثيقا بين اللغة العربية والعقل العربي بل أن هنالك تلازم بينهما، وتسهم اللغة العربية في إعطاء الهوية بعدها الحقيقي، إذ لا يمكن الحديث عن الحضارة أو الهوية أو الموروث الفكري بدون الانطلاق من اللغة التي تعد السبيل الأوحد للاتصال البيني والتواصل بين الماضي والمستقبل، وتكون اللغة العربية أداة لتحقيق الأمن الفكري العربي المنشود ولأجل تحقيق النهضة العربية، ومن كل ما سبق تناوله ارتأى لنا إبداء بعض النتائج والمقترحات:

- **ضرورة الاهتمام الأسري باللغة العربية وبإسهامها في النهضة العربية وهذا لأجل الخروج من عقدة التخلف التي بقي العديد من الناس أسرى لها، وأنها أي العربية أداة لتحقيق أمننا الفكري.**
- **ضرورة الاهتمام المؤسسي باللغة العربية من خلال تحميل المسؤولية للمؤسسات التعليمية من الطور الإعدادي إلى الجامعي إلى كل المؤسسات الحكومية والجمعوية الأخرى.**
- **ضرورة التحضير لمشروع اعتماد العربية كلغة علمية في شتى التخصصات التقنية والمعرفية المعاصرة، بما يؤكد مقدرة لغتنا على استيعاب أطياف المعرفة المختلفة.**
- **أولوية حرص المؤسسات الجامعية على تدويل ترجمة الأعمال الصادرة باللغة العربية حتى يكون للغة العربية دور المؤثر وليس المتأثر فقط.**

دعم وتحفيز الأعمال والجهود الجادة والمخلصة التي تعمل على النهوض باللغة العربية وآدابها، والوقوف بوجه الدعوات المناهضة للغة العربية والمنادية بإقصائها.

صياغة استراتيجيات متكاملة لخطاب سياسي لغوي بديل ولممارسة سياسية لغوية بديلة بغية تجاوز أزمة العربية الراهنة ولتمكين متعلم اللغة العربية من لعب دور أكثر فعالية في عملية البناء الحضاري لإنسان الحضارة.

- **مع أولوية تحقيق متطلبات الأمن الفكري الذي يعد لقاحا واقيا لشبابنا من المضار التي تنجم عن المد المعلوماتي العولمي، وحتى تصبح اللغة العربية في حد ذاتها أداة لإدارة الأزمات المعرفية في مؤسساتنا الجامعية التي تضم نخبا علمية موكول إليها الاضطلاع بمهمة تكوين الأجيال تكوينا متكاملا يضمن لهم التمييز بين الضار والنافع بين القبيح والمليح.**

<u>قائمة المراجع:</u>

- **بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية،1999.**
- **الجابري محمد عابد، العولمة وهاجس الهوية في الغرب، الإتحاد، بتاريخ 29نوفمبر 1999.**
- **الجابري محمد عابد،مسألة الهوية، العروبة والإسلام ...والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1995.**
- **الحملاوي محمد رشاد، إدارة الأزمات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، الإمارات العربية المتحدة، 1997.**

- الطريف عبد الله إبراهيم، الأمن الفكري البعد الاستراتيجي للأمن الوطني، ندوة علمية بجامعة الأمير نايف للعلوم الأمنية،1408، ص 04.
- العقون سعاد، دور المدرسة في بناء الذات السياسية للتلميذ، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 2004.
- الغامدي عبد الرحمن بن علي، قيم المواطنة لدى طلاب الثانوية وعلاقتها بالأمن الفكري، جامعة نايف للعلوم الأمنية، ط01،الرياض 2010.
- الراشد فواز محمد، مرئيات التخطيط اللغوي عرض ونقد، مجلة مجمع اللغة العربية، الأردن 1996، العدد 51، ص 125.
- بن نبي مالك، القضايا الكبرى، دار لفكر المعاصر، بيروت، 1999.
- بالعيد صالح، الأمن اللغوي، دار هومة، الجزائر 2010.
- جودت سعيد، عبد الواحد علواني، الإسلام والغرب والديمقراطية، دار الفكر المعاصر، بيروت.
- عبد القادر نادية، 2007 إدارة الأزمات وحل المشكلات، محاضرة بالدورة التدريبية للمعطيات المقامة من طرف وزارة التربية والتعليم بدولة الكويت، ص 01.
- هلال عبد الغني محمد، 1996، مهارات إدارة الأزمات بين الوقاية منها والسيطرة عليها، الطبعة الثانية، مركز تطوير الأداء والتنمية، القاهرة، ص09.
- نيازي حتاتة، إسهام الجمهور في مكافحة الجريمة، مجلة الأمن العام المصرية، العدد 57، ص 161.
- نايل إبراهيم عيد، جرائم الإرهاب، السياسة الجنائية في مجابهة الإرهاب في القانونين المصري والفرنسي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995.
- كريم مراد، المهنة المكتبية في ظل مجتمع المعلومات، مقال بمجلة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر دورة أكاديمية محكمة ربيع الثاني،1428، ماي 2007، العدد 23، ص 300.
- عمارة محمد، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، فبراير.
- كوش دوني، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.
- فوكوياما فرانسيس، نهاية التاريخ وخاتمة البشر، ترجمة حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة، 1992.
- كلوغ ميشيل، عولمة أمريكا، مجلة الثقافة العالمية، الكويت، نوفمبر، 2000.
- شهاب أحمد، نحو تناول علمي لمفهوم العولمة، الكلمة، العدد 25.
- لويس. م.م،ترجمة تمام حسان، اللغة في المجتمع،عالم الكتب، القاهرة،2003.
- زيادة رضوان جودت، النهضة المستحيلة، قراءة المستقبل بعيون الماضي، مجلة الاجتهاد،بيروت 2002، العدد 54، ص 322.

- هانتغتون صموئيل، صدام الحضارات، ترجمة مركز الدراسات الإستراتجية، بيروت، 1995.
- يزيد أبي عبد الله محمد، في سنن إبن ماجة، الطبعة الثالثة، مراجعة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض، 2000، حديث 3957 ص 2714.
- Brian Beedham. Islam and the West ;the Economist August. 6th.1994.1994.p15.32.